تقديم الشخصية في رواية بَابُ الطَّبَاشِير لأحمد سعداوي

م.م رغد حميد عبد الله

جامعة الأنبار/ قسم اللغة العربية

(مُلَخَّصُ البَحث)

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل رسله ، وخاتم أنبيائه، محمد وآله الطيبين الطاهرين .

رواية (بَابُ الطَّبَاشِير) للروائي أحمد سعداوي، تمثل مرحلة من مراحل العراق التي مر بها، وهي تعكس للقارئ الواقع العراقي في مدة معينة عاشها الشعب العراقي، إذ استطاع الروائي عن طريق روايته هذه محاكاة الواقع، وخلق تفاعل فني بين القارئ واحداث الرواية التي جمعت العديد من الشخصيات الروائية التي كانت مرايا للمجتمع العراقي ، استطاع الروائي احمد سعداوي تقديمها للقارئ بطرائق مختلفة كلا بحسب دوره في الرواية ، وهذا ما دفعنا لكتابة البحث للوقوف على تلك الطرائق التي قدم بها الروائي شخصيات روايته .

التمهيد

أولاً : مفهوم التقديم

جاء في تاج اللغة الجذر اللغوي لفظة التقديم (قَدَمَ – يقْدِمُ)، بمعنى " **قَدَمَ بالفتح أي تقدّم** "[١]، بمعنى السبق والتقدم والصدارة، وهو على وزن (فعّل) ومصدره على وزن " تفعيل "[٢]، و (قّدِم) مصدره " تقديما"، والقدوم معناه السبق في الأمر، يقال " **لفلان قَدَمَ صدقٍ، أي إثرة حسنة. قال الاخفش: هو التقديم كأنه قدّم خيرا، وكأن له فيه التقديم** "[٣] .

أما اصطلاحاً فيولي النقد الروائي طرائق تقديم الشخصية أهمية خاصة، بوصفها تقنية ضرورية للرواية والسرد القصصي، ولما " **لها من دور مركزي رئيس في تفعيل دينامية العملية السردية داخل فضاء الرواية وطبقاتها**"[٤]، ونريد بمصطلح تقديم الشخصية " **الطريقة التي قدّم بها الروائي شخصيته الروائية** "[٥]. والكيفية التي يتم بها خلق الشخصيات وبناء وجودها في العمل الروائي، وعرّف مجدي وهبة عملية الخلق هذه بقوله: " **منهج يقدّم به المؤلف شخصية ما في القصة أو المسرحية**"[٦]. وفي ضوء ما تقدم نجد ان مصطلح **(التقديم)** قد تتداخل مع مصطلحات أخرى تحمل المعنى نفسه للتقديم، أو جز من المعنى، ومن هذه المصطلحات: (البناء)، و(الرسم)، و(الوصف)، و(الخلق) و(التشخيص)،

و(التعريف)، و(العرض). وهذه القضية قد وقف عندها عدد من الباحثين[٧]، لذا أجد لا حاجة لتكرار الحديث في هذه القضية. ما يهمنا البحث في طرائق تقديم الشخصية في رواية (بَابُ الطَّبَاشِير) لأحمد سعداوي .

ثانياً : مفهوم الشخصية

الشخصية لغة:

جاء في المعاجم العربية أنها من مادة شخص، و "**الشخصُ سوادُ الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شخص رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، وجمعهُ، الشخوص والأشخاص** ... "[٨]. وجاء في لسان العرب أنها من مادة شخص، و" **الشخصُ: جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر، والجمع أشخاصٌ وشخوصٌ وشِخاص ... والشخصُ سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد تقول ثلاثة أشخصٍ: وكلُّ شيء رأيت جسمانه رأيت شخصه** ..."[٩]. فالمعاجم العربية ركزت على الدلالة الحسية والوصف الحسي، لذلك نجد من يعرف الشخصية بقوله:" **صفات تميز الشخص من غيره ويقال فلان ذو شخصية قوية وصفات متميزة وإرادة وكيان مستقل** "[١٠].

الشخصية اصطلاحاً:

أما اصطلاحاً فتعرف الشخصية بأنها " **صفات تُميزُ الشخص عن غيره** "[١١]، وعرفها الدكتور محمد التونجي بأنها " **خصائص تُحدد الإنسان جسمياً، واجتماعياً، ووجدانياً، وتظهره بمظهر متميز من الآخرين** ..."[١٢]. وتعرف في البناء السردي بأنها " **كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية** "[١٣]. ومنهم من عرفها بأنها " **كائن ورقي ينشأ إنشاء، وهو كائن (حي) بالمعنى الفني ولكنه بلا أحشاء، أو هو كائن قُدَّ من سمات وعلامات ... فالشخصية إذن من عالم الأدب والفن أو الخيال ولا تنتسب إلى عالمها ذلك** "[١٤]. ومنهم من عرفها بأنها " **مجموعة صفات الشخص كما تبدو في علاقاته مع الناس، أو أنها مركب من صفات مختلفة تميز الشخص عن غيره خاصة من ناحية التكييف للمواقف الاجتماعية** "[١٥].

ثالثاً : احمد سعداوي[١٦]

روائي وشاعر عراقي ولد في بغداد عام ١٩٧٣م ، عمل معلما ، ومحررا ، وكاتبا في الصحف والمجلات . تأثر بالعديد من كتاب الرواية الكبار منهم : همنغوي ، وفوكنر ، وماركيز ، وإسماعيل قادري ، وإبراهيم الكوني ، وعبد الرحمن منيف ، وغسان كنفاني ، ومحمد خضير [١٧] .

لـه العديـد مـن الأعمـال منهـا : (عيـد الأغنيـات السـيئة) ديـوان شـعر صـدر عـام ٢٠٠١م ، و (البلـد الجميـل) روايـة صـدرت عـام ٢٠٠٤م ، و (أنـه يحلـم أو يلعـب أو يمـوت) روايـة صـدرت عـام ٢٠٠٨م ، و (فرانكشـتاين فـي بغـداد) روايـة صـدرت عـام ٢٠١٣ م ، و (بـاب الطباشـير) روايـة صـدرت ٢٠١٧م . حـاز علـى العديـد مـن الجـوائز منهـا : الجـائزة الأولـى للروايـة العربيـة فـي دبـي عـام ٢٠٠٥م ، جـائزة هاي فاستيفال عام ٢٠١٠ م في بيروت ، جائزة البوكر العربية عام ٢٠١٤م .

الدراسة :

ميـز (بيرسـي لوبـوك) بـين وسـيلتين رئيسـتين لتقـديم الشخصـية وهمـا : الإخبـار ، والإظهـار[١٨] ، وينـتج عـن اسـتعمال الوسـيلة الأولـى تعـرف القـارئ علـى كـل مـا يتعلـق بالشخصـية مـن معلومـات ، فـي حـين أن اسـتعمال الوسـيلة الأخـرى يفـتح المجـال للقـارئ لكـي يتعـرف علـى الشخصـية عـن طريـق أفعالهـا وأقوالهـا مـن دون أن تقـدم إليـه المعلومـات الجـاهزة سـلفا " **وقـد اصـطلح علـى التقـديم الإخبـاري ، فـي عـدد مـن الدراسـات الأخـرى ، بالتقـديم المباشـر ، والتحليلـي ، والتقريـري ... واصـطلح علـى التقديم الإظهاري بالتقديم غير المباشر ، والتمثيلي ، والتصويري** "[١٩] .

إنَّ رسـم معـالم الشخصـية وملامحهـا قضـية علـى درجـة عاليـة مـن الأهميـة ، إذ لا يكتـب البراعـة للكثيـرين ، إذ يتوجـب علـى الروائـي الحـاذق أن لا يـدلي بمعلومـات الشخصـية وبطاقتهـا وهويتهـا دفعـة واحـدة ، بـل يتـوخى أن تظهـر معـالم وسـمات الشخصـية بالتـدريج ، جـاعلاً لعناصـر التشـويق ، والإثـارة ، والعناصـر الدراميـة مكانتها في العمل الروائي ، وها ما ينشده ويبحث عنه القارئ[٢٠].

وفـي بحثنـا هـذا سـأتناول التقنيـات والأدوات التـي وظفهـا الروائـي (احمـد سـعداوي)، لتقـديم الشخصـية الروائيـة للمتلقـي فـي روايتـه (بـاب الطباشـير)، فسـأتتبع طرائـق التقـديم على النحو الآتي:

المبحث الأول: تقديم الشخصية عبر السرد

السرد هـو " **المصـطلح العـام الـذي يشـتمل علـى قـص حـدثٍ أو أحـداث أو خبـر أو أخبـار سـواء أكـان ذلـك مـن صـميم الحقيقـة أم مـن ابتكـار الخيـال** "[٢١] ، ويُعد الوسـيلة الأسـاس التـي يعتمـدها الروائـي فـي تقـديم الشخصـيات الروائيـة ، وتتكـون البنيـة السـردية مـن ثلاثـة محـاور[٢٢] : الـراوي ، والمـروي ، والمـروي لـه . وفـي بحثنـا هـذا سيقتصـر الحـديث علـى المحـور الأول (**الـراوي**) ، وهـو " **الشـخص الـذي يقـوم بالسـرد** " [٢٣] ، فضـلا عمـا يقـوم مـن وظيفـة تنسـيق وتنظـيم داخلـي للخطـاب القصصـي، ووظيفـة إبـلاغ تتجسـد فـي الرسـالة التـي تعمـل الحكايـة علـى إيصـالها

للمتلقي سواء كانت الرسالة ذات مغزى أخلاقي أم إنساني ، ووظيفة آيديولوجية أو تعليقية والتي تتضمن النشاط التفسيري أو التأويلي للراوي ، فضلا عن الوظيفة الانتباهية والاستشهادية والإفهامية والانطباعية[٢٤] . ويمكن تقسيم الراوي تبعاً لعلاقته بالأحداث على قسمين[٢٥] :

١- الراوي داخل القصة : إذ يكون الراوي حاضراً ومشاركاً في الأحداث التي يرويها، فيروي لنا الأحداث بضمير المتكلم .

٢- الراوي خارج القصة : ونقصد به أن يكون الراوي مستقلاً عن الأحداث التي يرويها، أي غير مشاركٍ فيها ، ويروي بضمير الغائب .

وبالعودة إلى نصوص الرواية موضوع الدراسة، نجد في فصل **(الميّت الحيّ)** أن السرد هو ما يفتح الروائي احمد سعداوي به روايته، وذلك للوصول بالمتلقي إلى الحدث مباشرة من دون الخوض في الوصف أو الحوارات ، ونلاحظ أن الراوي الداخلي الذي يروي لنا الأحداث بضمير المتكلم (أنا)، هو من ينهض بعملية السرد: " **حين ألقوني في هذه الزنزانة العَفِنَة، رأيتُ ، على أضواء النّهار الشّحيحة ، باباً مرسوماً بالطّباشير على الحائط. كان قد رسمه، كما بدا لي، سجينٌ مرَّ من هنا. ربَّما مات قبل أن ينجح في فتحه، أو فرَّ منه، لا أدرى! لم أَمْحُ الباب المستحيل حتى لا أُضيِّق الخيارات التي عندي. وحتى لا أشعر بالعزلة**"[٢٦].

إن هذه الزنزانة التي ابتدأ الراوي سرده بالحديث عنها ، هي نفسها التي نفذ عن طريقها إلى توجيه القارئ نحو الحدث في الرواية وشخصياته، عبر توجيه السرد للتعريف بالمكان الذي يتواجد فيه (شخصية السجين علي ناجي)، وهي الزنزانة التي يسجن فيها هو وأصدقائه: " **كان ذلك قبل أن تأتوا وتتكدَّسوا هنا يا زملاء هذه الزنزانة العَفِنَة، يا أصدقائي النّشّالين، والمزوِّرين والقتلة وسارقي اسطوانات الغاز المنزليّة، وشاتمي الرئيس ... أنتم محظوظون أنني هنا معكم في هذه الزنزانة القبيحة الغارقة في الظلام . تستمعون لي وأنا أعطيكم درساً أخيراً في الحياة...**"[٢٧] .

ويتمكن الراوي الداخلي الذي يروي بضمير المتكلم من التلاعب بالمتلقي ليجعله مُتأهباً لِتلقف الآتي من سرد الحدث وتعريف المتلقي بنفسه مباشرة ، لأن هذا الأسلوب " **يتيح للشخصية أن تواجه القارئ مباشرة فتتحدث إليه وتتحاور دون وصاية أو توجيه من الشخصيات الأخرى وتكشف عن نفسها بحرية مطلقة، دون أن تنتظر من يحجب عن القارئ بعض أفكارها ومواقفها...**" [٢٨]، إذ نتعرف

على مقدار الأسى الذي يستشعره الراوي، والذي يُجسد شخصية السجين علي ناجي الذي كاد يصاب بالجنون من كثرة التعذيب والصدمات الكهربائية التي تعرض لها في سجنه، فنجده يسرد ذكرياته ليعرف القارئ بشخصية: " **ما زلت أتذكر وردة الجوري الحمراء التي وضعها والدي على الصندوق الخشبي للتلفزيون العتيق بعد عودته من عمله ذات ظهيرة، خطفتُ الوردة وبقيت أتامّل التفافات أوراقها، ولونها المميّز... كنت أعود من المدرسة، ولأن أمّي كانت متعبة أو مريضةً أحياناً، أو لأنني كنت متحمساً لتجربة الأشياء والحصول على المديح بسبب اتقاني لها ، كنت أركض إ المطبخ لأقشر حبّات البطاطا الكبيرة وأعد طعام الغداء لنفسي...** "[٢٩].

ونلاحظ أن هذا الراوي يظل يسرد ذكريات عدة حول وضعه عبر استرجاع ذكريات طفولته ، وبتقادم السرد يُلاحظ المتلقي أن الراوئي مال إلى حجب الملامح الخارجية لهذه الشخصية فلا يُطلعنا السرد إلا على ما يعتمل في داخلها من أفكار وأحاسيس ومشاعر وذكريات ، وقد يكون الروائي متعمداً في ذلك " **لأن الشخصية المتروكة بدون وصف أو دون تمييز ، يمكنها أن تكون أكثر حضوراً في الرواية من الشخصية الموصوفة بوضوح تام** "[٣٠].

وعبر السرد يقدم لنا الراوي (علي ناجي) شخصية (ليلى حميد) الفتاة التي تعلق قلبه بها فهي حبه الأول : " **الحبُّ الذي يمكن أن أصفه بأنه حبّي الأول الحقيقي، عشته هناك ، في أروقة قسم السمعيّة والمرئيّة في كلية الفنون ، في صيف ١٩٩٣ بالسنة الثالثة من الدراسة، مع ليلى حميد** " ..." [٣١]ويستمر الرواي بتقديم شخصيته وشخصية (ليلى) عبر سرده للحدث، فضلا عن سرده لإحساسه اتجاهها " **أقف في الأيام الشتائية بحجة البحث عن حرارة الشمس عند حائط كافتريا الأساتذة، منضماً إلى آخرين يُفضلون هذا المكان لكونه مكاناً جيداً للمراقبة ، وأبقى مثلهم ، أبحث بعينيّ عن حبيبتي المفترضة ، هل ستخرج من قسم السمعيّة والمرئيّة ، أم تدخل إلى كافتريا الطلبة، أنظر إليها بتنَّورتها الكِيْلوت وهي الموضة الرائجة في تلك السنة، وهي تحمل قدحها، مثل بقيّة البنات. لتشرب الماء أو المشروبات الساخنة** " [٣٢] .

وفي نهاية سرده نجده يقدم شخصيته اليائسة الفاقدة الأمل وهو يطلق عليها عبارة (**المَيْتُ الحَي**) الذي لا يأمل شيء من الحياة، فهو بلا أمل يسيطر عليه اليأس، فالحياة بالنسبة له متوقف، لا ينتظر منها شيئاً: " **بالنسبة لي أنا** " **الْمَيْتُ**

الْحَـي " والـذي لا يضـيره إن كانـت الحيـاة أم المـوت هـو مـا سـيأتي إليـه ، لـن يغيّـر عندي من شيء أن آمل أو أيأس "[٣٣].

وعبـر السـرد يوظـف الـراوي الـذي يـروي بضـمير المـتكلم ، تقنيـة الاسـترجاع لتقـديم معلومـات مـوجزة عـن شخصـية (عمـار) أخـو علـي نـاجي ، الـذي عمـل مـع أخيـه قبـل أحـداث ٢٠٠٣ م : " **كـان عمـار يعمـل علـى ميـز لبيـع السـجائر فـي الشُّـورجة قبـل ٢٠٠٣ ، ثـم تطـور عملـه بشـكل متسـارع ، ليفـتح محـلاً للبيـع بالجملـة فـي بورصـة السـجائر فـي هـذا السـوق ، ووقـف علـي معـه فـي العمـل ، وصـارا شـريكين تقريباً...**"[٣٤] .

هـذه كانـت بعـض المقـاطع السـردية التـي قـدم عـن طريقهـا الروائـي (احمـد سـعداوي) شخصيات روايته (باب الطباشير) .

المبحث الثاني : تقديم الشخصية عبر الحوار

الحـوار فـي اللغـة: "**الحَـوَرُ: الرُجُـوعُ عـن الشـيء وإلـى الشـيء، حَـارَ إلـى الشـيء وعَنْـهُ حَـورًا ومَحـارًا ومَحـارةً وحَـؤورًا: رَجَـعَ عنـه وإليـه**"[٣٥]. والحـوار بـذلك يعـود إلـى (حَـوَر) وإلـى (المُحَـاوَرَة)، بمعنـى المُجَاوَبَـة، وهـذا المعنـى اللغـوي هـو الأقـرب إلـى المعنـى الاصـطلاحي، فـالحوار بمفهومـه الاصـطلاحي هـو:" **حـديث يـدور بـين اثنـين علـى الأقـل ويتنـاول شـتى الموضـوعات، أو هـو كـلام بـين الأديـب ونفسـه، أو مـن ينزله مقام نفسه**" [٣٦].

ويعـد الحـوار مـن أهـم عناصـر القصـة والوسـائل السـردية المتبعـة فيهـا، ولا يشـترطُ أن يجـرى الحـوار بـين شخصـين اثنـين فحسـب، بـل يمكـن أن يكـون بـين مجموعـةٍ مـن الأشـخاص، أو قـد يكـون بـين الشـخص ونفسـه، أو أي كـلام دائـرٍ فـي القصـة تقـع عليـه مسـؤولية نقـل الحـدث مـن نقطـة إلـى أُخـرى، داخـل الـنص السـردي ليوصـل أفكـار القصة ويُعزز تناغم أحداثها.[٣٧]

وللحـوار أثـر مهـم فـي المتلقـي، إذ عـن طريقـه يـتم الكشـف عـن طبيعـة الشخصـية وموقعهـا، وفهـم الحـدث وتطـوره[٣٨] . ولهـذا يُعَـدُّ الحـوارُ مـن الطرائـق المهمـة فـي تقـديم الشخصـية بوصـفه "**عنصـرًا لـه خطـر فـي العمـل الروائـي، إذ يسـتدل علـى وعـي الشخصـية وتفردهـا، ويسـهم فـي تطـوير الأحـداث، فضـلاً عـن دوره فـي المسـاعدة علـى بعـث الحـرارة والحيويـة فـي المواقـف المميـزة، بشـكلٍ يحقـق منـه تصـورًا متكـاملاً لظواهر الواقع**"[٣٩]. وينقسم الحوار على ثلاثة أنواع[٤٠]، وهي :

١- الحوار غير المباشر الحر(المونولوج الداخلي):

ويراد به الحوار الحاصل في حديث الشخصية عن ذاتها بنحوٍ غير مسموعٍ ولا ملفوظ، لأن الشخصية تتحدث مع نفسها وتحكي أفكارها الداخلية فتكون فيه أقرب إلى اللاوعي. فالمونولوج هو: "**ذلك التكنيك الذي يستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية من دون التكلم على نحوٍ كلي أو جزئي، فالشخصية في تلك اللحظة التي تمارس فيها التفاعل النفسي تعيش في المستويات المختلفة للانضباط الواعي قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود**"[٤١]. فالحوار هنا يكون من داخل النفس البشرية لتكلم الشخصية مع ذاتها وهي تحاول أن تجعلها مُحاورة تامة تقرب الفكرة وتوضح ما يدور في النفس من خواطر بأسلوبٍ حواري.

٢- الحوار غير المباشر

وهو " **نمط من الحوار يتميز بحضور السارد وقيامه بمهمة نقل الكلام الخاص بالشخصية ، وهو أكثر الأشكال السردية والأقرب مسافة لكلام الشخصية ، ويمكن عن طريق هذا النمط من الحوار تلخيص الحوار المجرد ونقله إلى أسلوب الحوار غير المباشر** "[٤٢]

٣- الحوار المباشر

وهو " **ذلك الحوار الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل النص القصصي بطريقة مباشرة**"[٤٣]، ويسمى كذلك بالحوار الخارجي، ويعد هذا النوع من الحوار هو أوضح أنواع الحوار؛ لأنه قائم على وجود شخصيات سردية متحاورة، وترتبط بالحوار المباشر وحدة الحدث والموقف لدفع السرد إلى الإمام مع تماسك لأحداث القصة وتطوراتها، برواكب الوجود العنصري لأطرها السردية.[٤٤]

وبالعودة إلى الرواية موضوع الدراسة والبحث ، لاحظت أن الروائي أكثر من الحوار المباشر الممزوج بالسرد الذي يجعل منه أداة للتعريف وتقديم الشخصية ، من ذلك تقديمه شخصية السائل الغريب الذي جاء لزيارة الدكتور واصف ، إذ ينم الحوار الذي دار بين الدكتور واصف والسائل الغريب عن شخصية كبيرة بالعمر ، كانت معجبة بشخصية الدكتور واصف إذ اعتبره أستاذه في العمل : " **كان السائل موظفاً قديماً في المتحف العراقي ، يعرفه دكتور واصف ، وإن لم يكونا صديقين ... كنت أكثر شخص أحترمه في المتحف . أنت أستاذنا كلّنا دكتور . وكنتَ حريصاً على العمل ، حتى تقاعدت ، ووقتها كنتُ أرغب بزيارتك ، ولكني خجلت ،**

فنحن لسنا أصدقاء ، وانت لم تكن تختلط كثيراً معنا " [٤٥] ، ولم يكتف بالحوار المباشر في تقديمه لشخصية السائل ، بل نجده يستعمل الوصف مع الحوار المباشر في تقديم الشخصية : " **قال الزميل القديم ، وهو يرشُف من الشاي الذي أعدته زوجة الحارس ، كان يبدو عجوزاً بهندام متعب ، لكنه أصغر من دكتور واصف بعقدين على الأقل** "[٤٦] .

وعبر الحوار الداخلي (المونولوج) الممزوج بالحوار المباشر من لدن الراوي ، نستشرف شخصية (محمد سدخان) الممرض العجوز اليائس الذي كان يأمل بتغير واقع البلد ، ولكن بلا فائدة إذ إنه أضاع نصف عمره في الحروب والأسر من دون أن يحقق لنفسه شيء ، بعد أن كتشف أنه ضحية مقلب كبير أسمه السياسية : " **أنا الممرض العجوز محمد سدخان كنتُ مستعدَّاً لتصديق حكاية تغير الواقع . ولكن ليس واقع البلد ، وإنما واقع حياتي أنا فحسب ، كنت مجرّد شخصٍ ضيّع نصف عمره في الحروب والأسر ، من دون عائلة ، يرمي بصره أحيانا إلى البعيد فيرى أنه ضحية مَقْلَبٍ كبير ، ولا يستطيع اتهام أحد بوجوده في هذا المَقْلب . هل هو القدر أم القرارات السياسية للزعماء أم خياراتي الشخصية ؟!** "[٤٧] .

ونقف عند شخصية (بان) عشيقة (علي ناجي) ، موظفة البنك المركزي التي أقامت علاقة مشبوهة معه ، فنجد الراوي يقدم هذه الشخصية للمتلقي بطريقة مزج فيها بين الحوار والوصف والسرد ، ليكشف للمتلقي خفايا هذه الشخصية السيئة ، ذات التصرفات المشبوهة ، والتي كانت سبب انفصالها عن زوجها ، وحرمانها من أولادها : " **كانت** " **بان** " **عشيقة البنك المركزي جالسة هناك وهي تضع شالها الطويل الذي تلفُّه على رأسها عدة مرّات حتى ليبدو وكأنه كُرة منتفخة حول وجهها ...**

طلبت رقمك هنا ولم يعطنى أياه أحد .

...

و ماذا حصل لرقمي عندك ؟

عضَّت شفتها السفلى وهي تتملَّى وجهه ، ثم أرختها ، ورمتْ حسرةً صغيرةً :

غضبت منك في آخر مرّة . زعلت . كسّرت التلفون والشريحة .

...

آني أسفه .. ما ادري بيك انضربت . حمد لله ع السلامة .

تسلمين

يمكن آني شوّرت بيك . كم كنت أكرهك .

...

لقد تطلقنا .

...

تخلصتُ منه أخيراً . وبما أنكَ خيرتني خيارات صعبة ، فأنا اتخذتُ قراري في النهاية ، اخترتكَ أنتَ ، وتركتُ هذا الأرعن . على الأقل أنا لستُ مضطرة الآن للاعتراف له بأن سيف ليس ولده .

من هو سيف ؟

إبننا "[٤٨]

لقد كانت هذه النصوص التي أورتها استكمالاً لإحدى الآليات التي وظفها الروائي (احمد سعداوي) لتقديم شخصيات روايته ، وقد مال الروائي إلى استعمال الحوار المباشر في تقديم شخصياته ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذا النوع من الحوار ، يسمح للمتلقي بتكوين صورة واضحة عن الشخص المتكلم في الرواية، كما يسهم بشكل كبير في بثّ الحركة والتلقائية في السرد وكذلك لتقوية أثر الواقع في الرواية[٤٩] .

المبحث الثالث : تقديم الشخصية عبر الوصف

هي الطريقة المباشرة التي يعتمدها الراوي في تقديم الشخصية، فهو يعنى برسم الشخصية من الخارج أي يصف سلوكها وأحاسيسها، ويتحدث عنها بإيجاز ويتناولها بالاعتماد على المظاهر الخارجية للشخصية. فنجد الراوي يميل كثيرًا إلى وصف الملابس والهيكل الخارجي والبنية الجسمانية التي تدل على الشخصية .ونقصد بها " **وصف خصال الشخصية الخارجية، والجوانب الشكلية أي رسم ملامحها الخارجية فضلا عن كشف ما في داخلها ومدى عمقها النفسي والفكري، مع ما يمكن أن يلحقه من تعقيبات يسوقها الشاعر على بعض تصرفاتها** "[٥٠]. ويعد هذا الوصف وصفا مهماً إذ بوساطته يمكن تقريب الشخصية إلى ذهن المتلقي حتى يحس أنها ماثلة أمامه، ومن ثم يحس بواقعيتها، إذْ إنَّه " **إذا لم تعرف الشخصيات جيداً بحيث تستطيع أن تشاركها مشاركة وجدانية، فلن تعبأ بما يحدث لها** "[٥١]، وقد يؤدي هذا

إلى تخلخل بناء الشخصية ومن ثم إلى عدم التأثير في المتلقي. وقد قسّمت الناقدة (سيزا قاسم) الوصف بحسب وظيفته على ثلاثة أقسام[٥٢] ، وهي :

١- الوصف الزخرفي ويقصد به " الوصف الذي يهدف إلى إشباع حاجة جمالية لدى القارئ "[٥٣] .

٢- الوصف التفسيري : والغرض من هذا الوصف هو تصوير الشخصية الروائية وبيان أسباب سلوكها وأفعالها عن طريق وصف بيئة الشخصية ومكوناتها من الأشياء ، وكل ما يكون خلفيتها[٥٤].

٣- الوصف الإيهامي : والغرض منه إيهام القارئ بأنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال .

وقد اعتمد الروائي (احمد سعداوي) على (الوصف) كثيراً في تقديم الشخصيات في روايته ، فقد وجد فيه طريقاً معبداً ومدخلاً لإنشاء تواصل مع المتلقي، ويمكن ملاحظة ذلك في تقديمه للشخصيات، من ذلك استعماله الوصف الزخرفي في تقديمه شخصية (ليلى)، فنجد الراوي يصف جمالها الفتيّ الأخاذ ، الذي يسطر عليه، والذي جعل قلبه يتعلق بحبها : " **... بشعرها الأسود الملتفِّ ، الذي تسرّحه على شكل حلقاتٍ متموّجة ... وبشرتها الحنطيّة الصافية . استخدامها الغريب للماكياج، ضربات خفيفة هنا وهناك ربما تنجزها أمام المرآة في ظرف دقيقة لا أكثر، مع سهمين صغيرين باللون الأزرق الداكن على حافتي العينين ، يجعلان عينيها الناعستين وكأنهما أطول .... قامتها المتوسطة وجسدها ذي الامتلاء البسيط وشعرها الأسود الملتفِّ ...** "[٥٥] .

وفي موضع أخر من الرواية نجد (احمد سعداوي) يوظف الحوار المتضمن الوصف في تقديمه للشخصية ، ولا يتدخل سوى بتعليقات الغرض منها تجسيد ملامح الشخصية لدرجة إيهام القارئ أن ما يقرأه واقع حقيقي وليس خيالاً ، من ذلك حواره مع أخو أمير في تقديمه لشخصيته : " **...كان الشابُّ السمينٌ ذو اللحية الخفيفة المحدَّدة يضحك ...**

- بسبب هذا البرنامج أنا غيَّرت رأيي بك . كنت أكرهك بصراحة ، ولكني الآن أحببتك عرفت كيف تأثر أخي بك .

- **ومن أخوك ؟**
- **أمير داغر .**
- **- قال الشاب السمين ، من دون أن يبدو على عليّ أنه عرف الاسم ، فشرح الشاب السمين :**
- **لقد شنق أخي أمير نفسه في سنة ٢٠٠٠ ، بعد ليلة رأس السنة بيومين ، وكان ذلك بسببك .**"[٥٦] .

وفي موضع أخر من الرواية يوظّف الراوي الوصف التفسيري في أثناء وصفه وتقديمه لشخصية الدكتور واصف عالم الآثار والسومريّات ، لإظهار المستوى

الطبقي الذي ينتمي إليه ، فامتلاكه لبيت واسع وفخم منذُ سنوات في حي المنصور _ بحسب قول الراوي – يدل على المستوى المعيشي والطبقي الجيد الذي يعيشه الدكتور واصف : " **كان دكتور واصف متقاعدا ، في الخامسة والستين من عمره، يسكن وحده في بيت واسع وفخم منذ بضع سنوات ، بعد مغادرة أخيه رافد وعائلته إلى عَمَّان ، ورفضه الذهاب معهم . ولم يكن يعجز عن ملء وقته الكثير بمشاغل وتفاصيل عديدة ، أغلبها تتعلَّق بالقراءة والاستغراق بتخصصه الآثاري** ..." [٥٧] .

وفي تقديمه لشخصية (فالح عبد الله مزيعل) ، يوظف الوصف الإيهامي الممزوج بالسرد من أجل المتلقي بأن ما يقرأه حدثٌ واقعيٌ أو قريبٌ منه ، ولتمتلك النصوص القدرة على إقناع المتلقي فهو يوظف الوصف والسرد بطريقة تجعل القارئ يتلهف لمعرفة ما هو دور هذه الشخصية ، وما هي أهميتها داخل الرواية ، ومن هذه الشخصيات شخصية (فالح عبد الله مزيعل) الذي تم تنصبه رئيساً للوزراء : " **وفالح هذا كان نائب ضابط في جيش صدام أصيب بعوق أثناء الحرب العراقية الإيرانية ، وبدل أن يعود مع سيارات الجرحى إلى الخلفيات ، ترك ذراعه مع أشلاء جنود آخرين ، وعبر الحدود إلى إيران ، لديه الآن ذراع بلاستكية جيدة المظهر ، حتى أنه يستطيع مصافحة الآخرين بها ، شرط ألا يُصدَّقوا أنها مصافحةً فعلية ويشدُّون على يده المزيَّفة بقوة ، فلربما أخذوها معهم أمام إحراج الكاميرات الصحفية** " [٥٨] .

وفي موضع آخر من الرواية يزاوج الراوي بين الوصف التفسيري والسرد في تقديم شخصية (شاهر حمد الله فرحان) رئيس الجمهورية الغير مرغوب به ، المنتقد من الراوي ، إذ يجده لا يصلح لهذا المنصب كونه يُقيم خارج الوطن : " **فرحان رجلُ عشائريٌ وتاجرُ ولدية علاقات واسعة في المناطق من شمالي بغداد حتى الحدود العراقية التركية السورية . لديه أربع زوجات هُنَّ بنات قبائل كبيرة ، وأولاده تزوَّجوا من بنات قبائل كبيرة أخرى ... و لا ينفعُ أحدٌ غيره لهذا المنصب الحسَّاس . ولكن أيَّ حسَّاس هذا ؟ إنه لا يُقيم في العراق أصلاً ، ويتابع أعماله التجارية من هناك من بَرَّه ...**" [٥٩] .

وفي موضع آخر يجسّد الوصف مشهد تحطَّم وجه موظف دائرة البلدية الذي تم دفعه من قبل القوة المليشياوية الرئاسية بسبب رفضه أن يعبر الجدار الوهمي : " **دفع الرجال المسلَّحون الموظف المسكين وصار قريباً من الحائط الوهمي ، وهنا توقَّفَ وثَبَّت قدميه على الأرض بشدّة وتقلَّصت ملامح وجهه وبدا وكأنه على شفا**

البكاء ، محتضناً حقيبته الجلدية ، وينظر بفزع إلى ما يراه أمامه ، ولا يراه أحدٌ غيره وكأن اسداً مخيفاً يفتح شدقيه أمامه ويهمُّ بابتلاعه ، دفعه رجلٌ ضخمٌ دفعةً قويةً ، فارتطم وجه الموظف المرعوب بالحائط الوهمي وتكسر عظم وجنتيه وسَال دمهُ على صدره وحقيبته وتلوَّثت ملابسه ، وتقطر الدم منه فوق بقع الصبغ وقطرات الدهان التي كانت أسفل الجدار الوهمي " [٦٠] .

وهكذا نجد أن الروائي (احمد سعداوي) قد وظّف الوصف بأنواعه المختلفة في تقديم شخصيات الرواية .

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة مع رواية (باب الطباشير) لأحمد سعداوي ، يمكن أن نورد أهم نتائج البحث :

- استطاع الروائي أن ينقل صورة واضحة عن المجتمع العراقي وما كان يمر به في مدة معينة من الزمن .
- اهتم الروائي برسم الشخصيات في روايته وإبراز الملامح الخارجية والداخلية لهذه الشخصيات .
- استطاع الروائي توظف أدوات السرد ، والحوار ، والوصف بشكل مميز في رسم وتقديم الشخصيات للمتلقي . فكان متمكناً من أدواته في تقديم الشخصيات داخل الرواية .
- كانت شخصيات الرواية مرآة ناطقة لشخصيات مقتبسة من الواقع الاجتماعي ، أرد الروائي عن طريق روايته تسلط الضوء عليها والوقوف عند بعض القضايا التي يعاني منها المجتمع العراقي .

الهوامش

[١] تاج اللغة وصحاح العربية،لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجواهري: ٢/ ١٤٧٩ .
[٢] شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي: ٨١ .
[٣] تاج اللغة وصحاح العربية،لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجواهري: ٢/ ١٤٨٠ .
[٤] جماليات التشكيل الروائي: ١٣ .
[٥] الرواية العربية، البناء والرُّؤيا: ١٣٣.
[٦] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٦٥ .
[٧] ينظر: تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية، أثير عادل: ١٣-١٨، وينظر: بناء الشخصية في كتاب أيام العرب قبل الأسلام (لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩)، محمد ادي علوان، رسالة ماجستير: ١٤-٢١، وينظر: تقديم الشخصية في شعر الفرسان والأجواد الجاهلين، أحمد حسن حلو: ٩-١١ .
[٨] كتاب العين: مادة (شخص).
[٩] لسان العرب: مادة (شخص) .
[١٠] المعجم الوسيط: ٢/ ٤٧٥ .
[١١] بناء الشخصية والمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، رسالة ماجستير: ١٥ .
[١٢] المعجم المفصل في الأدب: ٢/ ٥٤٦ .
[١٣] المصطلح السردي: ٤٢ .
[١٤] بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية، أطروحة دكتوراه: ١٥ .

[١٥] أصول علم النفس: ٣٩٣.
[١٦] ينظر : رواية باب الطباشير : ٣ .
[١٧] ينظر : العجائبية ليست تزويقاً إنما نافذة للاقتراب من واقع العراق ، حوار مع الروائي احمد سعداوي .
[١٨] يُنظر : تقنيات السرد من منظور النقد الروائي ، أشواق عدنان شاكر النعيمي : ٩٩ .
[١٩] تقديم الشخصية في الرواية العراقية : ٣٩-٤٠ .
[٢٠] ينظر : فن كتابة القصة : ١٣٥-١٣٦ .
[٢١] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة : ١٩٨ .
[٢٢] ينظر : بنية النص الروائي (دراسة) ، إبراهيم خليل : ١٦٠-١٦١ .
[٢٣] المصطلح السردي ، جيرالد برنس : ١٥٨ .
[٢٤] ينظر : مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً) ، سمير المرزوقي ، جميل شاكر : ١٠٤ .
[٢٥] ينظر : علم الرواية : ٧٩ .
[٢٦] باب الطباشير : ٧ .
[٢٧] المصدر السابق : ٧ .
[٢٨] البناء الفني لرواية الحرب في العراق : ١٧٦ .
[٢٩] باب الطباشير : ٩ .
[٣٠] بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي : ٢٢٧ .
[٣١] باب الطباشير : ١٥ .
[٣٢] المصدر السابق : ١٦ .
[٣٣] المصدر السابق : ٢٢ .
[٣٤] باب الطباشير : ١٠٩ .
[٣٥] لسان العرب، مادة ح و ر.
[٣٦] المعجم الأدبي، جبور عبد النور:١٠٠ .
[٣٧] ينظر: المصطلح في الأدب الغربي، ناصر الحاتي:١٠٠.
[٣٨] ينظر: نقد الرواية، لطيف زيتوني: ٨٢، وينظر: الحوار في القصة والمسرحية: د. طه عبد الفتاح مقلد:١٦ .
[٣٩] لغة الحوار ودلالاته في الرواية العراقية، باقر جواد: ٣٤ .
[٤٠] ينظر : بناء الشخصية في الرواية (الرواية العراقية أنموذجاً) ، د. مصطفى ساجد الراوي : ١٥٤ .
[٤١] تيار الوعي الرواية الحديثة، روبرت همفري:٤٤.
[٤٢] الوصف والحوار في روايات أحمد خلف ، رجاء عبد داود ، رسالة ماجستير : ١١٨ .
[٤٣] القصة القصيرة عناصرها وتطبيقاتها في القصة الصحفية القصص الصحفية الفلسطينية أنموذجا:١٨١.
[٤٤] ينظر: الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية،٢١ – ٢٢.
[٤٥] باب الطباشير : ١١٩ .
[٤٦] المصدر السابق : ١١٩ – ١٢٠ .
[٤٧] باب الطباشير : ١٠٢ .
[٤٨] باب الطباشير : ١٤٩ – ١٥٥ .
[٤٩] ينظر : بنية الشكل الروائي : ١٦٦ .
[٥٠] النقد التطبيقي التحليلي: ٦٨ .
[٥١] الفنان في عصر العلم، مجموعة من المؤلفين، تر: فؤاد دوارة، ٢٣٠.
[٥٢] ينظر : بناء الرواية : ٨١ – ٨٢ .
[٥٣] البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) : ٢٢ .
[٥٤] ينظر : المصدر السابق : ٢٢ .
[٥٥] باب الطباشير : ١٧ – ١٨ ، ٧٠ .
[٥٦] المصدر السابق : ٢٨ .
[٥٧] باب الطباشير : ٥٩ .
[٥٨] المصدر السابق : ٨٥ .
[٥٩] باب الطباشير : ٨٥ – ٨٦ .
[٦٠] المصدر السابق : ٩٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط٧، ١٩٦٨م.

بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

بناء الشخصية في الرواية (الرواية العراقية أنموذجاً) ، د. مصطفى ساجد الراوي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) ، ج٢ ، د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة)، د. عبد الله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٨م..

بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م.

بنية النص الروائي ، إبراهيم خليل ، الدار العربية للعلوم ، الجزائر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجواهري، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط١، ١٩٩٨.

تقنيات السرد من منظور النقد الروائي ، أشواق عدنان شاكر النعيمي ، دار الجواهري ، ط١ ، ٢٠١٤م .

تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية، أثير عادل شواي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٩ م.

تيار الوعي الرواية الحديثة، روبرت همفري ، تر : د. محمود الربيعي ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

جماليات التشكيل الروائي، د. محمد صابر عبيد، ود. سوسن البياتي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٨.

الحوار القصصي (تقنياته وعلاقاته السردية)، دراسة أدبية، فاتح عبد السلام، دار الفارس، عمان، ط١، ١٩٩٩م.

الحوار في القصة والرواية العربية، د. طه عبد الفتاح، دار الزيتون، ١٩٧٥م.

الرواية العربية، البناء والرُّؤيا، د. سمر روحي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د. ط)، ٢٠٠٣ م.

رواية باب الطباشير ، أحمد سعداوي ، منشورات الجمل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٧ م.

شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، كمال المللك، إيران، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٦هـ.

عالم الرواية، رولان بورونوف ـ ريال أوئليه، تر : نهاد التكرلي، مر : فؤاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة وأفاق عربية، بغداد، ط١، ١٩٩١م.

فن كتابة القصة ، فؤاد قنديل ، الهيئة العامة لقصور الثقافية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

الفنان في عصر العلم، ومقالات أخرى، مجموعة من المؤلفين، تر : فؤاد دوارة، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧م.

معجم العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، ت: د.مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).

لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري الأفريقي (ت ٧٧١هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٩٥٥م.

مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً) ، سمير المرزوقي ، جميل شاكر : ١٠٤ .

المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة : عابد خزندار، مراجعة : محمد بربري، المشروع القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٣م.

المصطلح في الأدب الغربي، ناصر الحاتي، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٨م.

المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٩.

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤ م.

المعجم المفصل في الأدب، محمد التويخي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار إحياء التراث، ط٢، ١٩٧٣م.

النقد التطبيقي التحليلي، د. عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، (د. ت).

نقد الرواية، لطيف زيتوني، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

الرسائل والاطاريح

بناء الشخصية في كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩ هـ)، محمد هادي علوان، رسالة ماجستير، إشراف أ.م لؤي حمزة عباس، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١م.

بناء الشخصية والمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، فلة قارة، وليندة لكحل، رسالة ماجستير، إشراف أ. د يحيي الشيخ صالح، كليه الآداب واللغات/ جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠١١م.

بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، شرحبيل إبراهيم أحمد المحاسنة، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د محمد الشوابكة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٧م.

تقديم الشخصية في شعر الفرسان والأجواد الجاهلين،، أحمد حسن الحلو، رسالة ماجستير، إشراف : أ٠م. د إخلاص محمد عيدان، كلية الآداب . جامعة بغداد، ٢٠١٧ م.

القصة القصيرة عناصرها وتطبيقاتها في القصة الصحفية الفلسطينية أنموذجًا، إبراهيم شهاب أحمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة العراقية، ٢٠١٢م.

الوصف والحوار في روايات أحمد خلف ، رجاء عبد داود ، رسالة ماجستير ، كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠م .

الدوريات

العجائبية ليست تزويقاً إنما نافذة للاقتراب من واقع العراق ، حوار مع الروائي احمد سعداوي أجراه فضل النشمي ، صحيفة المدى ، العدد ٣١٩٥ ، ٢٠١٤م .

لغة الحوار ودلالاته في الرواية العراقية، باقر جواد، مجلة الطليعة الأدبية، بغداد، شباط، ١٩٨٠م.